ديدكتيك النص الأدبي وتقنية الذكاء الاصطناعي تنمية الكفايات التواصلية واللغوية وتحسين الممارسات الصفية بالسلك الثانوي الإعدادي

The Didactics of Literary Texts and Artificial Intelligence Technology Developing Communicative and Linguistic Competencies and Improving Classroom Practices at the Lower Secondary Level

د. زكرياء الزاير
ZAKARIA EZZAIR
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز – فاس
zakaria.ezzair@usmba.ac.ma

ملخص:

تتناول هذه الدراسة قضية تحديث ديدكتيك النص الأدبي بالسلك الثانوي الإعدادي في ظل الطفرة الرقمية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الأدب ليس مجرد مادة معرفية، بل هو خطاب قيمي وجمالي يسهم في بناء شخصية المتعلم وتنمية ملكاته النقدية والتواصلية. وتستعرض الدراسة أهداف تدريس النص الشعري، مبرزة دور القراءة المنهجية بمراحلها الأربع في صقل الذوق الفني وحماية الناشئة من السطحية الفكرية والانغلاق. كما يقدم البحث نماذج تطبيقية لنصوص شعرية (محمود درويش وعبد الوهاب البياتي) ترتكز على قيم التعايش والإنسانية المشتركة، مبينا كيف يمكن للوسائط الرقمية والمؤثرات السمعية البصرية أن تحول الفضاء الصفي إلى بيئة تفاعلية تتجاوز النمطية التقليدية. وتخلص الدراسة إلى أن إدماج التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في الدرس الأدبي يعد ضرورة تربوية لتعزيز كفايات المتعلم، شريطة أن يتم ذلك وفق رؤية ديدكتيكية واعية تجعل من التكنولوجيا وسيلة لتجويد التعلم وتعميق الاستجابة الجمالية للنصوص.

كلمات مفاتيح: ديدكتيك، كفاية تواصلية، كفاية لغوية، ممارسة صفية

Abstract

This study examines the modernization of literary text didactics within middle school education, focusing on the impact of the digital revolution and Artificial Intelligence. The research is based on the premise that literature is not merely a subject of knowledge, but rather a value-based and aesthetic discourse that contributes to building the learner's personality and developing their critical and communicative faculties. The study explores the objectives of teaching poetry, highlighting the role of systematic reading across its four stages in refining artistic taste and protecting youth from intellectual superficiality and dogmatism. Furthermore, the paper presents practical applications of poetic texts by Mahmoud Darwish and Abdul Wahab Al-Bayati, centered on the values of coexistence and shared humanity. It demonstrates how digital media and audio-visual effects can transform the classroom into an interactive environment that transcends traditional stereotypes. The study concludes that integrating technology and AI into literary lessons is a pedagogical necessity to enhance learner competencies, provided it is implemented through a conscious didactic vision that utilizes technology as a means to improve learning quality and deepen aesthetic response to texts.

مقدمة:

يعدُّ الأدب، وخاصة الشعر، خطابا جامعا لعناصر قيمية هامة وهادفة في المنظومة التعليمية، فقد ظلَّ مرتبطا بالإنسان ارتباطا وثيقا، يُعبِّر عن احتياجاته، وميوله، وتطلعاته، كما كان بمثابة خزّان لتجاربه الحياتيّة والمادية والروحيّة. ونجده يضمّ مختلف مناحي اهتمامات الإنسان، وتصوراته حول العالم والطبيعة والآخر، فقد اشتمل على العديد من المكونات الحضارية والفنية، وعلى رأسها اللغة العربيّة. فحين ننظر للنص الأدبي نجده جَمَّاع لعناصرَ جمالية وفنية ونقدية، تجعله مستوعِبا لمجموعة من البنيات الفكرية والثقافية واللغوية، فيشكّلُ بذلك خطابا إنسانيا وتربويا.

يتماشى هذا الأمر مع طبيعة الأدب القادرة على فتح قنوات يسعى من خلالها المتعلِّم لتحقيق تكامل وانسجام مع إيقاع الحياة، وتكسير أنماطها السائدة. فالنص الأدبي، المتمثل في القصيدة الشعرية، أو المقالة الأدبية، أو القصة، أداة قادرة على أن تلامس مجموعة من الجوانب في شخصية المتعلم، كما تنمي حسّه الجمالي وذوقه الفني.

وإننا اليوم، في ظل التحول الرقمي والتكنولوجي، وما يعرف بالذكاء الاصطناعي، نعيش ثورة كبيرة في توفر المعلومة وتلقينها، بحيث يفتح لنا الذكاء الاصطناعي قنوات وآليات جديدة ومتجددة، قادرة أن تجعل العملية التعليمية التعلمية، ناجحة وفعّالة. كما تجعل من النصوص الأدبية المدروسة وفق آليات ذكية جديدة، فضاء للحوار والتفاعل في ظل مقاربات ديدكتيكية حديثة، تحسِّن مستوى المتعلمين، وتساهم في بناء الكفايات المرجوة، وفق المقاربة بالكفايات.

من هذا المنطلق نطرح الإشكال التالي:

كيف يعزز البعد الرقمي فهمنا للنصوص الأدبية وإنتاج المعنى؟ وكيف يمكن اقتراح ملامح نموذج ديدكتيكي ذكي يساهم في تعزيز دور المدرّس والمتعلم في العملية التعليمية التعلمية؟ وكيف يمكن توظيف الوسائط الرقمية كآلية لدعم التفاعل الأدبي والانفتاح على النصوص؟ وكيف نتجاوز الطرق التقليدية النمطية في تدريس النص الأدبي ونعيد بناء مقاربة بيداغوجية جديدة للدرس الأدبي؟

I. التواصل الحوار وتقدير الذات والانفتاح على الآخر

الحوار يعلي من تقديرنا لذواتنا وإنسانيتنا التي تستدعي بالضرورة تقديرا للآخر باعتباره مشاركا وفاعلا. فالمقصود بحوار الحضارات هو تخفيف التوتر بين الشعوب، على أساس يسوده التآلف والمحبة والأخوة، يكون بين طرفين متباينين ومختلفين من حيث التوجه ومن حيث اللغة والثقافة. والتحاور يأتي بمعنى مراجعة الكلام والخطاب لمبادئ العقل والمنطق، فالمتحاور يحاور الطرف الآخر بالحجة والمنطق لغرض إقناعه برأيه والدفاع عن وجهة نظره .

ويتمثل الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاوِرة في تجنب إنقاص أحد الأطراف من قيمة الطرف الآخر، كما أنه يجب عدم سعي كل منهما إلى فرض السيطرة والهيمنة على الطرف الآخر وإرهابه بأي وسيلة كانت، كما يجب على كلا الطرفين احترام نفسه وتفاعله بشكل إيجابي في المجتمع، والحفاظ على تراثه، وذلك لكي تقوى هيبته في نفوس الأطراف الأخرى وبالتالي احترامه وإعلاء شأنه. ثم إنّ تحقيق الهدف المرجو من الحوار يوجِب على كل طرف من الأطراف المتحاورة أن يعرف الهدف المقصود من عملية الحوار، وما يتصل بهذا الهدف من ارتباطات، فلكي يكون الحوار إيجابياً وحقيقياً يجب أن يحقق الهدف

المقصود كتعارف الثقافات على بعضها البعض، وتشارك المعرفة، وبناء علاقات إيجابية بين الطرفين، لتبادل وجهات النظر في مختلف القضايا لجعل عملية التحاور فعالة .

إذن لا يتحقق الحوار الحضاري ولا يؤتي أُكله إلا إذا بُني على العطاء المتبادل، واستيعاب المفاهيم الحضارية ومختلف التجارب التاريخية. إضافة إلى مدى التشبث بالقيم الإنسانية النبيلة التي تعلي من شأن الإنسان ومكانته، كما تعلي من شأن ثقافته وتراثه ومعارفه. بالإضافة إلى مدى استيعابه وتفهمه لقضية التعايش السلمي، ومعرفة القيم الدينية التي يقوم عليها، والأنماط الاجتماعية السائدة، كما يجب معرفة مدى فاعلية الحوار الحضاري وما ينتج عنه من ثمار مفيدة لكلا الطرفين .

جاعلا ذاته تقابل الآخر، فلا وجود لذات بلا عالم ولا وجود لذات دون آخر –الغير– فأن يكون الإنسان إنسانا معناه أن يقترب من الغير (الآخر) لا أن يتصور الإنسان نفسه بمعزل. بل إن كنهه هو في وجوده مع الغير. فكينونة الإنسان، ليست كينونة ذاتٍ منعزلة متفردة، بل هي كينونة اجتماعية وتاريخية. فعلاقة الإنسان بالعالم تتجاوز حدود الأشياء إلى الكينونة، وكينونة الإنسان أن يكون في العالم مع الغير.

هذه الفاعلية والتشاركية– التي يحتِّمها الفعل الحضاري– في طبيعتها تجعل إنسان اليوم يطرح الأسئلة تلوى الأسئلة، ويبحث عن مجموعة من القنوات التي تجعله في تواصل دائم وانفتاح مستمر متماشيا مع متطلبات العصر الراهن الذي صار فيه الإنسان سيد نفسه وسيد اختياراته. موجها بذلك دفة الصراع نحو قوة ناعمة، هي الفن والأدب والإبداع بكل صوره، والتي تبدو مواجهة تسمو بالروح وتطِهر النفس من كل الشرور، وتُبعد الإنسان عن خيارات الحرب والعنف، وتفتح له آفاقا جديدة للسلام والتعايش. فقد صار يتطلع للغد المشرق باعتباره يمتلك قدرة العقل كقاسم مشترك يُمنطق وفقه هذا العالم ويسعى إلى تربية ذوقه وآليات تفكيره مجسدا بذلك جوهره الإنساني ومواقفه ومحددا مصيره.

وفق ذلك يتوق إنسان اليوم إلى فك الأغلال والخروج خارج الكهف ورؤية شمس الحقيقة، أي المعرفة. المعرفة التي تنبني في الأساس على تحاور وتشارك مع الحضارات والثقافات الأخرى، ليكتشف الطريق، طريق الإنسانية المطلقة بعيدا عن القيود التي تكبِّل الفكر والوجدان. ليحقق ماهيته العقلية والروحية، ويجسد إرادته وحريته، ككائن مفكر ومبدع خلاّق. إذ يستطيع التَموقع بأصالة بواسطة الفن والأدب كأداة يجرِّد بها

هذا العالم من مأساته وهزائمه، بمعنى آخر، أصبح يبتعد عن كلِّ مظاهر التصنع لينغمس في الطبيعة بكل ما تحمله من جمال مشترك.

وقد كان البحث عن الجميل والفنِيّ مطيته، إذ ثَم استخدامه في صيغ متعددة، بحيث يرتبط بالحركة وهي قوة فاعلة. إنّه الوعي الجمالي الذي بفعله أخذ يتأمل الطبيعة بتركيز ونزق أقل. فالمقاربة المعاصرة لمفهوم الحضارة حولت الاهتمام من القوة والعنف إلى مفهوم الكلمة التي صارت مفتاح الحوار والتعايش والسلام. إذن مفهوم الحضارة في القديم كان يتأسس على مفهوم السيف ومفهوم الحضارة اليوم يتأسس على مفهوم الكلمة. الكلمة هي السلاح الحضاري وأساس التحاور.

لقد بات الفن ذا قيمة أساسية في حياتنا اليوم، وله أهمية كبيرة منذ بدأ الإنسان يمحور ذاته في هذا الوجود، فقد صار قضية إنسانية يلجأ إليه الإنسان المعاصر لمعالجة مجموعة من الإشكاليات الجوهرية التي تدخل في حواره الحضاري مع الآخر. ولقد صار العمل الفني اليوم ذا بعد تحسيسي تواصلي يستطيع من خلاله الفنان إبلاغ رسالة تأثرية لها ما لها من أهمية. فقد أصبح، هذا الأخير، ظاهرة اجتماعية نلمسها في كل المجمعات على اختلاف ثقافتها ومرجعياتها الفكرية والدينية. و" قد تراءى لبعض الفلاسفة أن قيمة الفن ترتبط بالضرورة بالمتعة، وهم يدافعون عن وجهة نظرهم تلك بالقول بأننا حين نقول عن عمل ما إنه جيد، فإن ذلك يساوي قولنا بأن هذا العمل ممتع أو سار(...) فإن هناك اعتقاد واسع النطاق بأن بالفن نشترك نوعا من الأحاسيس"(271)، كالسعادة والفرح والحزن.

II. أهداف وآفاق ديدكتيك النص الأدبي/ الشعري

لا يقتصر الهدف الأسمى من تدريس الأدب في المدرسة على تحقيق نجاح عابر في الامتحانات أو الحصول على نقط مرتفعة في فروض المراقبة المستمرة، بل يتجاوز ذلك إلى غاية أعمق وأبعد أثرًا، تتمثل في إكساب المتعلم كفاية حياتية أساسية تُعرف في الأدبيات التربوية بـ«الكفاية الأدبية». وتتمثل هذه الكفاية في امتلاك مجموعة من الأدوات والقدرات التي تمكّن المتعلم من القراءة الواعية والناقدة، لا الاكتفاء

271 جوردون جراهام ترجمة: محمد يونس، فلسفة الفن مدخل إلى علم الجمال، سلسلة آفاق عالمية، ط1، القاهرة 2013. ص 12/11.

بقراءة سطحية عابرة. "مع التركيز على الجانب الإبداعي اللغوي، مع توليد الجمل اللامتناهية واستعمالها بشكل إبداعي، مع تمثل فلسفة ذات أبعاد تنشيطية، مراعية لتعدد ذكاءات المتعلمين وملكاتهم" ([272]).

فعندما نعلّم التلميذ كيف يقرأ النص الأدبي قراءة متعمقة وسليمة وذكية، فإننا لا نزوّده بمهارة جزئية مرتبطة بمادة دراسية بعينها، بل نُسهم في بناء مكتسبات معرفية ووجدانية وفكرية واسعة، تمتد آثارها إلى مختلف جوانب شخصيته وحياته.

- **تنمية القدرة على التحليل والنقد**

وحسب القراءة المنهجية المعتمدة في السلك الثانوي الإعدادي فإننا نعتمد أربع مراحل أساسية، وهي القراءة الاستكشافية، والقراءة التوجيهية، والقراءة التحليلية، والقراءة التركيبية. والهدف من هذه القراءات أن يحتكّ المتعلم بنصوص أدبية رفيعة المستوى، مصحوبًا بتوجيهه إلى قراءتها قراءة واعية ومتأنية، يفضي ذلك تدريجيًا إلى تنمية حسّه الجمالي وصقل ذوقه الفني.

من ثمة يصبح المتعلم قادرًا على التمييز بين التعبير الجميل والمؤثر، وبين الخطاب السطحي أو المبتذل، ويتعلم تقدير جمال اللغة، ومتعة الأسلوب الراقي، والانتباه إلى الفروق الدقيقة بين الألفاظ والتراكيب. "فإن هناك اعتقاد واسع النطاق بأن بالفن نشترك نوعا من الأحاسيس" ([273]) والذوق.

ولا يُعدّ هذا الذوق الأدبي ترفًا ثقافيًا أو متعة عابرة، بل يشكّل أساسًا متينًا لبناء شخصية متوازنة وراقية، قادرة على تذوق الجمال في مختلف مظاهر الحياة، لا في الأدب وحده. فالمتعلم الذي يمتلك ذوقًا أدبيًا سليمًا يغدو أكثر حساسية للجمال في الطبيعة، والفنون، والعلاقات الإنسانية، وأقل انجذابًا إلى السطحية والابتذال، اللذين تطبعهما بعض مظاهر الثقافة الاستهلاكية المعاصرة. وهكذا يصبح الذوق الأدبي بوابة لحياة أكثر عمقًا وثراءً وإنسانية.

---

[272] ينظر: محمد الدريج: ماذا بعد بيداغوجيا الإدماج؟ نموذج التدريس بالملكات. جريدة الأخبار/ المغرب، عدد 62، يناير 2013. ص08.

[273] جوردون جراهام ترجمة: محمد يونس، فلسفة الفن مدخل إلى علم الجمال، سلسلة آفاق عالمية، ط1، القاهرة 2013. ص 12/11.

إن هذه المهارة النقدية لا تقتصر فائدتها على مجال الأدب وحده، بل تمتد لتشمل مختلف مجالات الحياة. فالتمتعلم الذي يتعلم التفكير النقدي من خلال درس الأدب يصبح أكثر قدرة على تحليل الأخبار والمعلومات التي يتلقاها عبر وسائل الإعلام، وأكثر وعيًا عند اتخاذ القرارات في حياته الشخصية، وأقل عرضة للانخداع بالدعاية والشائعات والأفكار المضللة. ومن ثمّ، يُعدّ التفكير النقدي درعًا واقيًا ضد التطرف والانغلاق الفكري والتعصب الأعمى. من خلال ذلك يصبح متلقيا للنص ويصبح" المحور الأهم والمقدم في عملية التلقي، وعلاقته بالنص ليست علاقة جبرية (...) وإنما هي علاقة حرة غير مقيدة"([274]).

وتكتسي هذه القيمة الأخلاقية والسلوكية أهمية قصوى في عالمنا المعاصر، الذي يشهد توترات وصراعات متعددة ناجمة عن ضعف القدرة على تقبّل الآخر المختلف. فالمتعلم الذي يتعلم احترام الرأي المخالف داخل درس الأدب، ويعتاد الإنصات والحوار، يصبح مواطنًا أكثر تسامحًا وانفتاحًا، وأقدر على التعايش الإيجابي مع التنوع الثقافي والفكري داخل مجتمعه.

ومن أبرز المكاسب التي يحققها تدريس الأدب وفق مقاربة تربوية سليمة تنميةُ قدرة التلميذ على التفكير النقدي المستقل. فعندما يُشجَّع المتعلم على تأويل النصوص بنفسه، ومقارنة القراءات المختلفة، وتقييم الحجج والأدلة، فإنه يكتسب مهارة حياتية أساسية تتمثل في التفكير النقدي الواعي. فلا يمكن تنمية التفكير عند المتعلم ما لم يتعلم كيف يفكر، وذلك عن طريق إكسابه المهارات العلمية ([275]).

ينبغي أن يتعلم المتعلم، في هذا السياق، ألا يقبل الأفكار بوصفها حقائق نهائية ومسلَّمات جاهزة، بل يكتسب القدرة على مساءلتها وفحصها وتحليلها بموضوعية وعقلانية. كما يتدرب على طرح الأسئلة، وإبداء الرأي، وممارسة الشك المنهجي البنّاء، بما يعزز استقلاليته الفكرية ويؤهله ليكون مواطنًا واعيًا وقادرًا على اتخاذ مواقف مدروسة في مختلف مجالات الحياة.

[274] محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة. دار الفكر العربي، الطبعة الأولى/ 1996. ص 17.

[275] ينظر: عطية محسن علي: الجودة الشاملة والتجديد في التدريس. دار صفاء للنشر، الطبعة الأولى، عمان الأردن/ 2009. ص 33.

- **تنمية القدرة على التعبير والتواصل:**

عندما يتعرض التلميذ لنماذج راقية من التعبير اللغوي في النصوص الأدبية، ويتعلم تحليلها ومناقشتها، تتحسن قدرته على التعبير عن أفكاره ومشاعره بوضوح ودقة. كما يكتسب ثروة لغوية غنية من المفردات والتراكيب، ويتعلم تنظيم أفكاره بشكل منطقي ومتسلسل، مما يجعله أكثر قدرة على التواصل الفعّال مع الآخرين، شفهيًا وكتابيًا.

ولا تقتصر أهمية هذه المهارة على الحياة الدراسية فحسب، بل تتجاوزها إلى الحياة المهنية والاجتماعية؛ فالشخص القادر على التعبير الواضح والمؤثر يكون أكثر نجاحًا في عمله، وأكثر قدرة على بناء علاقات إنسانية متوازنة. وهكذا يسهم الأدب إسهامًا كبيرًا في تكوين شخصية قادرة على التواصل الناجح والفاعل.

- **تطوير الخيال وتنمية الإبداع:**

يفتح الأدب، ولا سيما الأجناس الإبداعية كالشعر والقصة والرواية، آفاقًا واسعة أمام خيال المتعلم. فحين يقرأ التلميذ نصًا أدبيًا مبدعًا، يلج عوالم جديدة، ويتفاعل مع شخصيات وأحداث وأماكن قد تكون بعيدة عن تجربته المباشرة. وهذا الاحتكاك المستمر بعوالم التخيل يسهم في تنمية قدراته الإبداعية، ويعزز لديه مهارة التفكير خارج الأطر الجاهزة، والقدرة على ابتكار أفكار جديدة وغير مألوفة.

ولا يقتصر دور الخيال والإبداع على المجالات الفنية فحسب، بل يمتد أيضًا إلى المجالات العلمية والتقنية، إذ إن كثيرًا من الاكتشافات والاختراعات الكبرى بدأت بخيال جريء وقدرة على تصور ما لم يكن ممكنًا في زمنه. ومن ثمّ، يسهم الأدب في تكوين عقول مبدعة قادرة على الابتكار والتجديد في مختلف الميادين.

نماذج تطبيقية:

نقترح نصين يمكن أن نجسد من خلالهما مجموعة من الأهداف التربوية التي يمكن أن نقارب من خلالها مجموعة من القيم التواصلية، التي يحملها النص الشعري ... والغاية أن نبين كيف يمكن للتقنية أن تساهم في تقريب الدلالة من المتعلم، وكيف يمكن لها أن تساعد في تنمية الكفايات التواصلية والغوية...

1. قصيدة الشاعر محمود درويش "عندما يبتعد"

يجسد فيها الشاعر مثالا حيا لفتح قنوات التواصل بلغة فنية لافتة:

.للعدوّ الذي يشرب الشاي في كوخنا فرسٌ في الدخان

.وبنتٌ لها حاجبان كثيفان

.عينان بنّيتان

.وشعرٌ طويلٌ كليل الأغاني على الكتفين

.وصورتها لا تفارقه كلّما جاءنا يطلب الشاي

لكنّه لا يحدّثنا عن مشاغلها في المساء،

...وعن فرسٍ تركته الأغاني على قمّة التلّ

في كوخنا يستريح العدوّ من البندقيّة، ...

.يتركها فوق كرسيّ جدّي

.ويأكل من خبزنا مثلما يفعل الضيف

.يغفو قليلاً على مقعد الخيزران

ويحنو على فرو قطّتنا" ([276])

2. قصيدة "إخواني الشعراء" للشاعر العراقيّ عبد الوهاب البياتي

والتي هي كذلك دعوة صريحة للتّعايش، والتّسالم وفق كلّ ما هو إنساني مشترك:

"يا أخوتي: الحياة

أغنيةٌ جميلةٌ، وأجملُ الأشياء:

ما هو آت، ما وراء اللّيل من ضياء

ومن مسرّات وهناء

[276] . محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا/ شعر، دار الرياض الريس للكتابة والنشر- بيروت، ط4/ 2009، ص: 136.

وأجمل الغناء:

ما كان من قلوبهم ينبَع من أعماق

شعوبنا الراسخة الأعراق

وأرضنا الطيّبة الخضراء

فلتلغوا الظلام

وصانعي المأساة والآلام

ولتمسحوا الدموع

وتوقدوا الشموع

في وحشة الطريق الإنسان

...

يا إخوتي: الحياة

أغنية جميلة، مطلعها الدموع والأحزان (...) (277) "

3. توظيف المؤثرات السمعية والبصرية

يُظهر لنا محمود درويش عمق ارتباط الخطاب الشعريّ بالقيم الإنسانية، فينتصر لقيمة الصدق والوفاء والتسامح. هذا التسامح الذي يعلو فوق كلّ أشكال المَيز التي تمنع التواصل والانصهار في ثقافة الآخر، التي هي في الأصل ثقافة إنسانيّة مشتركة. إذ يمثّل لذلك بوصف الفتاة اليهودية (وبنتٌ لها حاجبان كثيفان

277 عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان: المجد للأطفال والزيتون، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ 1995، ص: 202.

/عينان بنّيتان/ وشعرٌ طويلٌ كليل الأغاني على الكتفين)، التي تشبه الفتاة العربيّة في ملامحها، فالغاية هنا أنّ الثقافة اليهوديّة تشبه إلى حدٍّ كبير الثقافة العربيّة إنْ لم تكن جزءا منها. لينتقل لهذا الجندي الذي يحمل البندقية، كمعادل رمزي للصراع الذي يَحول بين التّواصل، والتّعايش، والسّلام، إلى أن يصل إلى الفكرة الجوهريّة التي تعيق هذا الانصهار، والتواصل الإنسانيّ؛ البندقية (لولا المسدس لاختلط الناي في الناي). فلولا الصراع/ البندقية لعشنا في سلام.

أما الشاعر عبد الوهاب البياتي في هذه القصيدة، يمثل لنا مشهدا آخر من مشاهد الإنسانيّة التي تكون فيها الذات مصدر تفاؤل وتناغم مع الذوات الأخرى، فتُوجه بذلك إلى الآخر المشترك دعوة للعيش، في ظل مبادئ الجمال والأخوة. فنجد الذات هنا تحضر كمعادل جماليّ في مقابل الآخر الرمزيّ الذي يتمثل الشر (الظلام، المأساة، الليل، الدموع). الذات/ الجمال، الآخر الرمزيّ/ الشر، إذن يجب نبذ الشر وتوحيد الذوات عن طريق نشر الضياء كطاقة إيجابيّة. وهنا دعوة صريحة من لدن الشاعرين للتعايش: الذات/ الآخر= المشترك/ الناي. الذات/ الآخر= الصراع/ البندقية. فيجب إزالة الظلام ليعمَّ النور.

إن الاستعانة بشريط مصور لهذين النصين يعزز العمق الثقافي والقيمي الذي تحمله هذه النصوص الشعرية، كما أن البعد التأثيري للصوت، الذي يجسده القاء الشاعر الفلسطيني محمود درويش، والشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي، يحقق فهما واستيعابا جماليا لدى المتعلم، الذي يستثير لديه حاسة السمع وحاسة البصر، ومن ثمة تنمية الكفاية التواصلية واللغوية.

فإننا نعيش اليوم، بلا شك، في عصر التكنولوجيا الرقمية والثورة المعلوماتية المتسارعة، ولم يعد الكتاب المدرسي الورقي التقليدي وحده كافيًا لتلبية حاجات المتعلمين ومتطلبات هذا العصر. ومن ثمّ، يصبح من الضروري توظيف الوسائط التكنولوجية الحديثة والمتنوعة توظيفًا ذكيًا وفعّالًا في تدريس الأدب وتحليل النصوص.

ويمكن، في هذا السياق، الاستفادة من شبكة الإنترنت في البحث داخل المكتبات الرقمية العربية والعالمية التي تزخر بملايين الكتب والمراجع، أو في مشاهدة مواد سمعية بصرية توثيقية وتعليمية حول حياة الشعراء والأدباء والعصور الأدبية المختلفة، أو في الاستماع إلى تسجيلات صوتية لقراءات شعرية

معبّرة، فضلًا عن المشاركة في منتديات أدبية ومنصات رقمية تتيح نقاشات فكرية مع متعلمين من مدارس أخرى، بل ومن بلدان مختلفة.

III. الأهداف التربوية من التوظيف التكنولوجي

ويسهم هذا التوظيف المدروس للتكنولوجيا في التعليم في تحقيق مجموعة من الأهداف التربوية المهمة، من أبرزها:

- **إتاحة كمٍّ هائل ومتنوّع من المعارف والمعلومات الموثوقة**

مما يساعد المتعلم على تعميق فهمه للنص الأدبي واستيعاب سياقه التاريخي والاجتماعي والثقافي. فبنقرة واحدة، يستطيع المتعلم الاطلاع على سيرة الشاعر، والظروف التاريخية التي عاشها، والمدرسة الأدبية التي ينتمي إليها، وهو ما ينعكس إيجابًا على جودة فهمه للنص.

- **تعزيز علاقة المتعلم بالمادة الدراسية**

مما يجعلها أكثر جاذبية وقربًا من اهتماماته، من خلال توظيف أدوات تكنولوجية معاصرة يألفها ويستمتع باستخدامها في حياته اليومية، كالهاتف الذكي، والحاسوب اللوحي، وتطبيقات التواصل الاجتماعي. وربط الأدب بهذه الوسائط يسهم في تقليص المسافة النفسية بين التلميذ والنص الأدبي.

- **تشجيع النقاش والحوار حول الأدب خارج الزمن المدرسي الرسمي**

إذ يمكن للتلاميذ إنشاء مجموعات نقاش رقمية لتبادل الآراء حول النصوص المدروسة، أو مشاركة مقالات أدبية، أو نشر محاولاتهم الإبداعية الخاصة وتلقي ملاحظات زملائهم بشأنها. فيصبح الغرض من استعمال التكنولوجيا" تربية الإنسان وإعداده للحياة في المجالات المعرفية والنفسية والمهارية، ليكون عنصرا إيجابيا فاعلا في المجتمع عن طريق تزويده بالمعارف والمهارات، وتكوين القيم والاتجاهات، وخلق قناعة لديه بالفكرة، أو القضية" ([278]). وبذلك تتشكل بيئة تعلم ممتدة تتجاوز حدود الفصل الدراسي، وتُسهم في ترسيخ علاقة حية ودائمة بين المتعلم والأدب.

[278] محسن علي عطية: تكنولوجيا الاتصال في التعليم الفعال، دار المناهج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى/ 2008. ص 70.

ومع ذلك، لا بد من التنبيه بوضوح إلى ضرورة توظيف التكنولوجيا توظيفًا ذكيًا ومدروسًا وموجَّهًا، لا استعمالًا عشوائيًا أو مفرطًا. فالتكنولوجيا تظل وسيلة تعليمية لا غاية في حد ذاتها، ويقتضي استخدامها الناجع وجود إشراف وتوجيه من المدرس، بما يضمن توظيفها فيما يخدم التعلم ويُنمّي الفهم، لا في مجرد التسلية أو إضاعة الوقت.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن الرهان الحقيقي في تدريس النص الأدبي لم يعد يكمن في نقل المعارف الجاهزة أو في استظهار المضامين، بل في إحداث تحول نوعي في الفعل التعليمي–التعلمي، ينتقل به من نموذج تلقيني أحادي الاتجاه، يحتكر فيه المدرس سلطة المعرفة والتفسير، إلى نموذج تفاعلي تشاركي يجعل المتعلم محور العملية التعليمية، وفاعلاً أساسياً في بناء المعنى وتأويل النصوص الأدبية. إن هذا التحول ليس اختياراً بيداغوجياً معزولاً، بل هو ضرورة تربوية تمليها التحولات المعرفية والثقافية التي يعرفها العالم المعاصر، وتفرضها الحاجة الملحة إلى إصلاح عميق للمدرسة العربية.

وقد أبرزت الدراسة أن تدريس النص الأدبي، حين يُبنى على مقاربات حديثة تستثمر القراءة التفاعلية الذكية، قادر على تحويل حصة الأدب إلى تجربة تعليمية حية وممتعة، تنمّي لدى المتعلم حب القراءة، وتُنمّي كفاياته اللغوية والتواصلية، وتُسهم في بناء ذائقته الجمالية، وتعزيز قدرته على التفكير النقدي والإبداعي. فالنص الأدبي لا ينبغي أن يُختزل في كونه مادة للشرح أو مناسبة لاستخراج المحسنات البلاغية، بل ينبغي أن يُنظر إليه بوصفه فضاءً مفتوحاً لبناء المعنى، وتداول القيم، واستكشاف الذات والعالم.

كما بينت أن نجاح هذا التحول يظل رهيناً بتجاوز عدد من الإكراهات التي تعيق تجديد تدريس الأدب، وفي مقدمتها هيمنة الامتحان، وضغط المقرر، وضعف التكوين المستمر في مجال الديداكتيك الأدبي، إضافة إلى تمثلات سلبية ما تزال تربط الأدب بالحفظ والتلقين. غير أن هذه الصعوبات، على أهميتها، لا ينبغي أن تُتخذ مبرراً لجمود الممارسة الصفية، بل حافزاً لتجديدها، خاصة في ظل توفر مقومات التغيير من كفاءات تربوية، ومناهج مطورة، وإمكانات بيداغوجية وتقنية قابلة للاستثمار.

إن الرهان الأكبر الذي تطرحه هذه الدراسة يتمثل في بناء متعلم قارئ، ناقد، ومبدع، قادر على التفاعل الإيجابي مع النصوص الأدبية، واستثمارها في فهم واقعه، والمساهمة في تطوير مجتمعه. وفي الأخير، تؤكد هذه الدراسة أن التغيير الحقيقي في تدريس النص الأدبي مسار تراكمي يتطلب صبراً ومثابرة، وإيماناً عميقاً بأهمية الإصلاح التربوي، وتضافر جهود مختلف الفاعلين التربويين. فحين تتوفر الإرادة، ويُدعم المدرس تكويناً وتأطيراً.

بيبليوغرافيا:

1. محمد الدريج: ماذا بعد بيداغوجيا الإدماج؟ نموذج التدريس بالملكات. جريدة الأخبار/ المغرب، عدد 62، يناير 2013.
2. جوردون جراهام ترجمة: محمد يونس، فلسفة الفن مدخل إلى علم الجمال، سلسلة آفاق عالمية، ط1، القاهرة 2013.
3. محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة. دار الفكر العربي، الطبعة الأولى/ 1996.
4. عطية محسن علي: الجودة الشاملة والتجديد في التدريس. دار صفاء للنشر، الطبعة الأولى، عمان الأردن/ 2009.
5. عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان: المجد للأطفال والزيتون، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ 1995.
6. محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا/ شعر، دار الرياض الريس للكتابة والنشر– بيروت، ط4/ 2009.
7. محسن علي عطية: تكنولوجيا الاتصال في التعليم الفعال، دار المناهج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى/ 2008.

8. جوردون جراهام ترجمة: محمد يونس، فلسفة الفن مدخل إلى علم الجمال، سلسلة آفاق عالمية، ط1، القاهرة 2013.